النقود الفضية الموحدية المربعة ضرب مدينة قسنطينة دراسة تحليلية وفنية

يحياوي العمري(قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)

ملخص:

لقد كان للهيمـنة السياسية والعسكرية في تاريخ الدولة الموحدية الأثر الإيجابي ليس فقط على إطالة عمر الدولة فحسب، بل إلى تمدد نفوذ أتباع ابن تومرت حتى حدود المغرب الأدنى، فكانت هذه السيطرة إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحدي، حيث كانت الدولة تبسـط نفوذها على أهم الحواضر والمدن الهامة في المغرب الإسلامي ومنها مدينة قسنطينة ذات البعد الاستراتيجي للدولة الموحدية، مما جعلهم يتخذونها دار ضرب لنقودهم الفضية، وذلك لتغطية نفقات واحتياجات الدولة في ظل التوسع وضم أكبر عدد من المناطق وتحقيق أعظم المكاسب .

الكلمات المفتاحية : تاريخ – الدولة الموحدية – قسنطينة – النقود – الفضية

Abstract:

It was a political and military dominance in the history Almohad's country .not only the positive impact of the life extend of the state,but also extend of the followers of Ibn Tumart the boundaries of Morocco.

This was the control of one of the basic components on which the Almohad economy, where its influence to extend the states into one more important metropolises and important in the Islamic Maghreb cities, including Constantine, a city with a strategic dimension under Almohad power, Which made them home for their silver money , so as to cover the expenses of the state's needs in light of the expansion and the inclusion of a greater number of areas and to achieve the greatest gains.

Keywords: History - Almohad State - Constantine - coins – silver.

مقدمة:

نظـرا للحقبة الطويلة التي ميزت الحكم الموحدي في بلاد المغرب، (أي ما يقارب قرن ونصـف)، وباعتـبار هـذه الدولة هي الوحيدة التي تمكنت من فرض وحدة سياسية في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث أصبحت أغلب مناطق هذا الإقليم تدين بالطاعة للخليفة الموحدي الذي جابت جيوشه كـل حـدود المغرب، من المحيط الأطلسي إلى أقصى المغرب الأدنى (تونس)، وكل الصحراء الكبرى.

هـذه الهيمـنة السياسية والعسكرية كان لها الأثر الإيجابي ليس على تمديد عمر الدولة فحسب، بل كانت إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحدي، حيث كانت الدولة تبسـط نفوذها على أهم الطرق والمنافذ البحرية، التي أنعشت حركة التبادل التجاري إضافة إلى وجـود العديد من المناجم التي كانت موجودة في الأقاليم التي كانت تخضع للسلطة المركزية.

هـذه العوامل كلها مجتمعة جعلت من الدولة الموحدية دولة قوية بنظامها النقدي المحكم الذي خول لها إنتاج كميات هائلة من الدنانير والدراهم باسم المـناطق التابعة لها، وحتى تلبي الاحتياجات الكبرى المتزايدة لهذه الدولة، فنجد العديد من دور الضرب الموحديـة الـتي أخـذت عـلى عاتقها إنتاج الدنانير والدراهم، مما جعل هناك توازن نقدي بين الولايات الموحدية الذي انعكس بالإيجاب على حركة الأموال والاقتصاد.

ولنسـلط الضـوء أكثر على ظاهرة نقدية هامة من بين هذه الظاهرة الاقتصادية التي عرفتها الدولة الموحدية، فقد وصلت إلينا مجموعة في غاية الأهمية من الدراهم الفضية باسم مدينة قسنطينة، التي كان لها قوي في العهد الموحدي ورغم هذا نجد المصادر التاريخية قد غفلت عن ذكر هذه المدينة كدار للضرب الموحدية، ونحن نعلم أن اضطلاع أي مدينة بأدوار أساسية لا يتحقق إلا بوجود دار للضرب فيها، مما ينعكس بالإجاب على حيوية المدينة وحركتها الاقتصادية والتجارية.

1 - لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة:

قسنطينة هي من أبدع المدن الجزائرية من حيث الموقع الطبيعي الخلاب، مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل والمدينة تشرف من جهاتها الثلاث على هاوية الوادي، وتصل بين قميها جسور [1] فهـذه المديـنة من المدن الجزائرية العريقة بتاريخها وحضارتها

وتراثها منذ العصور القديمة، فقد عرفت الاستقرار البشري منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتشير بعض الدراسات الأثرية الحديثة والتنقيبات الجديدة إلى أنها كانت موطنا لقبائل الماسيل المنتشرة في الإقليم الشرقي لبلاد الجزائر، قد اشتهرت هذه القبائل بتربية المواشي وخدمة الأرض وفلاحتها.فقد بدأت مدينة قسنطينة قرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة، أصبحت عاصمة سياسية وإدارية ومركزا تجاريا هاما، بين القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، هيمنت على بقية التجمعات البشرية الأخرى المحيطة بها الأمر الذي جعلها تلعب أدوار سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية هامة كعاصمة لمملكة نوميدية، فاكتسبت أهميتها على عهد الملك ما سينيسا (203-149 ق.م).

وتعرضت للاحتلال الروماني الذي تمكن من الاستيلاء استولى عليها أثناء محاربتهم ليوغرطة (108 ق.م)، وأصبحت إحدى المدن الرئيسية بشمال إفريقيا، وتعرضت للتدمير قبل أن يجدد بناءها الإمبراطور قسطنطين، فحملت اسمه، وأصبحت تعرف بقسنطينة [(2)]. ويضيف الشيخ العطار في شأن تأسيسها بقوله : « ... اختلفت الأقوال فيمن بناها، فقيل بناها قسطنطين الذي بنى قسطنطينة العظمى التي اسمها اليوم اسلانبول، وهي المسماة بلغتنا اصطنبول، وقيل بناها عامله على وطن إفريقية ونسبها إليه لكونه تحت طاعته، وقيل غير ذلك، والصحيح أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى مدينة قرطاجنة التي بقرب تونس، وبها كرسي إفريقية .

وكانت في سالف الزمان تسمى بالحصن الإفريقي يضرب بها المثل في التحصن لكونها مبنية على جبل والهواء محيط بها من كل جهة كدوران الخاتم في الأصبع غير أنها جهة الغرب منها بنوا أقواسا بالحجارة العظيمة بصنعة متقنة وهندسة عظيمة وارتفاع هائل، وطمسوه من الأعلى وردموه حتى صار أرضا يدخلون عليها[(3)].

وقد نالت المدينة نصيبها من كتابات الرحالة ومن بينهم : أبوعبيد البكري في القرن الخامس الهجري يقول عنها : « ثم تسير من مدينة تيجس إلى مدينة قسطنطينة، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام [(4)] .أما ياقوت الحموي فيقول في وصفها : « قُسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون، وكسر الطاء، وياء مثناة من تحت، نون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا، حصينة عالية لا يصلها الهواء إلا بجهد، وهي في حدود إفريقية مما يلي المغرب، لها اتصال بآكام متناسقة جنوبيها، تمتد منخفضة حتى تساوي

الأرض وحولها مزارع كثيرة وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلإ[5]،

وقد أسهب الرحالة والجغرافي العربي الشريف الإدريسي في وصف موقعها الهام وما تتمتع به من خيرات وثروات فقال : « وهي مدينة عامرة، ولها الأسواق وتجارة وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار والحنطة، تقيم في مظاهرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير، وهي قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة، لا يتوصل إليها إلا من جهة باب في غربيها ليس بكثير السعة وهذه المدينة يحيط بها الوادي من جهاتها كالعقد المستدير بها، وليس للمدينة من داخلها صور يعلوا أكثر من نصف قامة، إلا من جهة باب ميلة وللمدينة بابان في الغرب وباب القنطرة في الشرق[6].

ويضيف الحميري في تعداد محاسن وفضائل قسنطينة بقوله : وهي من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهــي مدينة أولية كبيرة آهلة، فيها أثار للأول كثيرة الخصب رخيسة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة، وكان لها ماء مجلوب يأتيها على قناطر بالقرب من قناطر قرطاجنة، وفيها مواجل عظام مثل التي في قرطاجنة، وقسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة، ولا يعلم بإفريقية،[7] أمنع منها، بل ليس لها نظير إلا مدينة رندة بالأندلس، فإنها تشبهها في وضعها، والخندق المحيط بها، والحافات المحدقة بها كثيرا، لكن قسنطينة أعظم وأكبر وأعلى فهي على جبل عظيم، من حجر صلب، قد شق الله تعالى ذلك الجبل فصار خندقا عظيما يدور بالمدينة من ثلاث جوانب [8]

فقسنطينة كان يسميها المغاربة (المغرب الأقصى)، في كتبهم التاريخية وغيرها بـ(قسمطينة)، وتبين أن المدينة اسمها في العصور الماضية (حصن-طينة)، الأغلب وسميت أيضا (قصر -طينة) ففي عصر العلامة ابن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني المتوفي سنة 810هـ كانت تسمى حصن طينة، حيث ذكر هذا المؤرخ في كتابه القيم المتضمن أرجوزته الفلكية المسماة بالسراج، والتي جاء في بعض أبياتها:

ثم صلاة الله ذي الجلال   على النبي المصطفى والآل

يعرف بابن قنفد اشتهاره   من حصن طينة فتلك داره

أتى بهذا الرجز المهذب   بفاس الكبر من أرض المغرب[9].

أمـا الشيخ العلامة صالح بن مهنا القسنطيني فقد ذكر قسنطينة باسم قصر طينة، وفي

تعـليقه القـيم عن رحلة الشيخ الورتلاني المسماة « نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار «، إذ قال: «... وقلت قسنطينة بلدة قديمة جاهلية من البلاد التي وقع عليها الفتح بإفريقية وسميت باسـم بانيـها « قسـطنطن « من أسماء الرومان كالقسطنطنية العظمى، وقيل أصل هذا الاسم قصـر طيـنة، منسـوب إلى امـرأة من الرومان اسمها طينة، فأضيف إليها، ثم دخله التصحيف والتحريف قيل قسمطينة بالميم والنون[10].

ويذكر لنا مؤرخ دولة الموحدين البيدق (أبوبكر الصنهاجي) أن المهدي بن تومرت قد دخل مدينة قسنطينة واستقر بها قبل قيام دولته فيقول:»...وذلك أنه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل عند الفقيه عبد الرحمن الميلي، ويحيا بن القاسم، وعبد العزيزبن محمد، وكان أميرها ابن سبع بن عبد العزيز، وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمان، وكان الطلبة الذين بها يأتون المعصوم (المهدي) يقرؤون عليه...».[11]

وتشير المصادر التاريخية أن مدينة قسنطينة دخلت تحت الحكم الموحدي ابتداء من سنة 547هـ بعد استنفار السلطان الموحدي لقتال النورمانديين الذين حاولوا الاستحواذ على سواحل إفريقية [12]،حيث سار عبد المؤمن حتى نزل بجاية ففتح له بابها أبوعبد الله بن ميمون بن علي المعروف بابن حمدون فدخلها وفر عنها يحي بن عبد العزيز بن حماد في البحر إلى مدينة بونة ومنها إلى قسنطينة وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة [13] .

وقـد اسـتمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أجروا حصـارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الـثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ [14]، الذي استطاع استرجاع المدينة وضـمها إلى طاعـة الخلافـة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضـة لتحرشات ثوار بني غانية، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

وبعـد هـذه الصراعات والحروب عاشت المدينة أجواء من الاستقرار واستتباب الأمن، وخاصـة فـي عهد والي إفريقية أبي محمد بن أبي حفص الذي حكم الولاية حتى عام 618هـ/1221م، ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م[16].

وظلت مدينة قسنطينة طيلة تاريخها تتأرجح بين الحكم الموحدي تارة، وسلطة ثوار بني غانية تارة أخرى، لكن أبو زكرياء حسم الأمر وأعلن خلع طاعة الموحدين، وتسمى بالأمير، وذلك إيذانا باستقلال الولاية، وقيام دولة بني حفص في تونس، وبذلك انطفأ وميض أكبر ثورة (بني غانية) أنهكت قوى أكبر دولة في المغرب الإسلامي في ذلك الوقت ومهدت لقيام دولة مستقلة سيكون لها شأن في المغرب الأدنى[17].

فتأرجح تاريخ المدينة تارة تحت طاعة ملوك مراكش من الملثمين المرابطين والموحدين وبني مرين، وتارة تحت سلاطين تونس الحفصيين إلى أن دخلها الاتراك[18].

2 - الخصائص الفنية للسكة الفضية الموحدية:

2 - 1 طراز الدرهم الموحدي المربع:

إن من أبرز الأحداث الهامة التي مرت بها الدولة الموحدية في نظامها النقدي، ابتكار سكة جديدة، خالفت في شكلها ومضامينها عما سبقها من مسكوكات دول المغرب الإسلامي التي سبقتها [19]، فحل هذا الطراز الجديد محل النقود المرابطية والزيرية والحمادية [20]، فكان هذا الإنجاز نقطة تحول هامة في تاريخ النظم النقدية الإسلامية منذ الفتح العربي لهذا الإقليم[21].

والتي بقيت أثارها وخصائصها متداولة في المغرب والأندلس من طرف الدول التي خلفت هذه الأخيرة في الحكم، واستمرت على نفس التقاليد طوال تاريخها مثل الدولة الحفصية بتونس، والدولة الزيانية بتلمسان، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والنصريين بغرناطة[22].

ولقد بلغ تأثير طراز التربيع النقدي الموحدي حتى حدود الهند، فبعد استحواذ العائلة الخليجية في القرن السابع الهجري على عرش دلهي، قام السلطان قطب الدين مبارك شاه رابع حكام هذه الأسرة بضرب سكة ذهبية وفضية مستديرة ومربعة الشكل[23].

وحسب البيدق مؤرخ المهدي : «... فإن تربيع السكة من ابتكار محمد بن تومرت القائم بأمر الموحدين، يقول أن الفقيه مالك بن وهيب قال للخليفة المرابطي علي بن تاشفين: هذا هو ويقصد (محمد بن تومرت) صاحب الدرهم المربع، أجعل عليه كبلا كي لا تسمع له طبل ...»[24].

ويذكرنا لنا صاحب كتاب الدوحة المشتبكة نسبة تربيع الدرهم إلى المهدي بن تومرت

بقوله :» وذاك أن صاحب الدرهم المركن هو أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية مدورة، فأمر المهدي أن تكون دراهمه مركنة، فكانت كذلك من حساب عشرين منها في الأوقية وثلاثة منها في الدينار «.[25]

ويؤكـد ابـن خلدون على أن الطراز الجديد كان من تدبير المهدي حيث يقول: «... ولما جـاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم المربع الشكل، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد...»[26]. (أي القرن الثامن الهجري).

فأغـلب الـروايات الـتاريخية تـؤكد أن الـمهدي بـن تومرت لم يسك في حياته عملة باسمه وإنما كان الفضل الكبير في إصدار الطراز المربع في الدراهم إلى خليفته ومؤسس الدولـة عـبد المـؤمن بـن عـلي، كون أن الأمور لم تستتب إلا في عهد هذا الأخير، حيث شهدت الـسنوات الأولى لظهور هذه الدولة صراعا كبيرا بينها وبين الدولة المرابطية المنهارة[27].

حيـث لـم يكن في مقدور الموحدين إحداث دار لصنع النقود، وليس مستبعدا أن مدينة مـراكش، هـي أول دار موحدية قامت بإصدار هذه النقود ذات الطراز الجديد، في المغرب والأندلس، حيث زاد عدد دور السكة في كل مكان وصل إليه سلطان الدولة[28].

في السنوات الأولى للحكم الموحدي، كانت الدراهم تضرب في جميع عواصم الولايات، مختلفة الأوزان، ويبدوا أن الموحدين قد أكثروا من ضرب الدراهم وأجزائها خاصة بعد استثمار الفضـة في خلافة أبي يوسف يعقوب، ولم تعد هناك شكوى من قلة الصرف كما كان الحال أيـام أبيـه عـبد المؤمن[29]، ويذكر صاحب المعجب لنا أمثلة من ذلك حيث يقول أنه حينما اشتكى يحي بـن عـبد العزيز لعبد المؤمن تعذر الصرف وعدم استطاعة شسكان بجاية قضاء حوائجهم لقلته، فبعث لهم عبد المؤمن ثلاثة أكياس صروف كلها[30].

فكان منها بمدينة فاس القرويين والأندلسيين دار سكة، فنقلها الخليفة أبو عبد الله الناصر ابن المنصور الموحدي، لدار أعدها بقصبتها حين بناها سنة ستمائة، وأعدها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، وأتقن ثقافها على أتم حال، وغالبا ما كان يسبك فيها الذهب،، وأما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها إلا أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه اليعقوبية[31].

2 - 2 التفسير التاريخي والأثري:

إن هذه العينات النقدية التي هي محل الدراسة، هي جزء من كنز كبير وثمين عثر عليه

في منطقة عين الدفلى، وهي يحتوي على نماذج متنوعة من المسكوكات الفضية الموحدية ذات الشكل المربع، والتي احتوت الكثير من دور الضرب التي اشتهرت في العصر الموحدي، حيث ما يزال الكثير منها يحافظ على خصائصه الفنية، ومن بينها الدراهم الموحدية التي حملت مدينة قسنطينة كدار للسك الموحدية.

وللإجابة على هذه التساؤلات حري بنا التعرض إلى نبذة مختصرة عن تاريخ هذه المدينة في العصر الموحدي، فتذكر المصادر الإخبارية أن أتباع المهدي بن تومرت قد بسطوا سيطرتهم على مدينة قسنطينة منذ خلافة عبد المؤمن بن علي، الذي تمكن من دخولها والاستيلاء عليها في حدود سنة 547هـ بعد استنفاره إلى غزو النورمانديين، الذين أرادوا الاستحواذ على سواحل إفريقية، وأصبحت منذ ذلك الوقت ضمن حكم دولة الوحدين بعدما جزءا من أملاك الدولة الحمادية استولى الخليفة على مدينة قسنطينة [32].

وقد استمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أحكموا حصارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ[33]، الذي تمكن من دحر أتباع بنو غانية واسترجاع المدينة وضمها إلى طاعة الخلافة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضة لتحرشات هؤلاء الثوار، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م[34].

وبقيت مدينة قسنطينة مدة طويلة تتأرجح بين سلطة الموحدين تارة، وسيطرة ثوار بنو غانية تارة أخرى، وفي الأخير حسم السلطان أبو زكرياء الأمر بعد خلعه لطاعة الموحدين وأعلن استقلاله عنها وتسمى بالأمير فكان إيذانا بقيام دولة حفصية مستقلة في تونس، وأخمدت بذلك أكبر ثورة (بنوغانية) في المغرب الإسلامي وانطفأ وميضها[35].

ومن بين الملاحظات التي يمكن إضافتها على هذه الدراهم السابقة هو مدى التشابه الكبير بين دراهم مدينة (قسنطينة)، والنقود الفضية الموحدية الأخرى التي ضرب في دور الضرب الموحدية الأخرى في المغرب والأندلس، في كتابتي الوجه والظهر، وهي من السيمات الفنية التي ميزت جميع النقود الخاصة بالمقاطعات التابعة لهذه الدولة المترامية الأطراف،

ولاشك أن ذكر مدينة الضرب (قسنطينة) على هذه العينات النقدية، يثير أكثر من سؤال من حيث العدد الضئيل الذي وصل إلينا من نقودها في العهد الموحدي، فهل هذا يعود إلى طبيعة نظام السك الذي ربما كان يحد من إنتاجها الكثير، ربما بسبب الحروب والصراعات التي شهدتها هذه المدينة؟.

وما لاحظناه من خلال دراستنا للنماذج النقدية الموحدية، هو قلة العينات التي سجلت مدينة قسنطينة كدار ضرب، حيث وصلت إلينا أربع قطع في حالة جيدة من الحفظ، باستثناء بعض المساحات منها التي أصابها المحو على كتاباتها بفعل عوامل الزمن، حيث تصنف هذه الدراهم من النقود النادرة في عصر الموحدين، وهي كسابقتها بمدينة الجزائر تعتبر حدثا هاما في تاريخ المسكوكات المغربية التي تحمل اسم مدينة الضرب (قسنطينة).

وهذه الدراهم عبارة عن قطع معدنية مصنوعة من معدن الفضة مقاساتها 15 ملم وأوزانها تراوحت ما بين 1,30 غ و1,40 غ، وتحتوي على كتابات بالوجه والظهر نفذت بالخط النسخي وبأسلوب النقش البارز، ففي الوجه نجد كتابة من ثلاثة سطور تشير إلى العبارات المعتادة في السكة الفضية الموحدية.

1- لا إله إلا الله

2- الأمر كله لله (لوحة رقم:01)

3- لا قوة إلا بالله

قسنطينة

أما كتابة لظهر فتتألف من ثلاثة أسطر أفقية تشير إلى:

1- الله ربنا

2- محمد رسول

3- المهدي إمامنا.

- **التفسير اللغوي:**

لقد لاحظنا على هذه الدراهم الفضية الموحدية لمدينة قسنطينة بعضا من الظواهر النحوية التي ارتبطت بالسكة من حيث تشكيل الحروف وإعجامها، هذين العمليتين اللتان أحدثتا على الكتابة العربية بصفة عامة والمسكوكات الإسلامية بصفة خاصة، قد ساهما في إبراز مدلولات الحروف والمعاني من جهة .

ومن جهة أخرى إعطاء بعد جمالي وفني لشعارات لهذه النقود رغم أن هذه المجموعة قد تعرض جزء كبير منها إلى الطمس نتيجة كثير من العوامل منها سوء الحفظ، إضافة إلى محاولة البعض التدليس والتزييف وطبيعية بفعل طول المدة وموقعها الأصلي بين الطبقات الستراتيغرافية، حيث نجد في أجزاء الدرهم الواحد مساحات من الحروف قد محيت عن آخـرها .

غيـر أنه رغم ذلك فإننا تتبعنا بعض الظواهر المهمة في هذه النماذج التي تعتبر في الوقت نفسه خصائص ومميـزات طـرأت على الكتابة والخط العربيين بصفة عامة وعلى عملية الشكل والإعجـام بصفة خاصة، وأولا سنتعرض إلى أهم التطورات التي لاحظناها على مستوى شكل الحروف وحركاتها.

فقد بقيت الحـروف تحافظ على إعجامها، حيث كتب حرف القاف في (قوة) بنقطة واحدة وهذا مرده إلى خصـائص الخـط المغربي الذي اشتق من الخط الكوفي، وقد كان يسمى خط القيروان، إضافةـ إلـى التنقيط على حرف الباء في كلمة (بالله) في السطرـ الثالث من كتابة الوجه ،إضافة إلى إعجام التاء المربوطة في كلمة (قوة) بنقطتين أما ظهر الدرهم فقد جاءت ألفاظ (ربنا، رسولنا، إمامنا) منقطة النون، حيث نلاحظ أن تنقيط النون في كلمة ربنا جاءت متلاحمة تماما مـع العنصرـ الزخرفي الموجود.

ففي هذه المجموعة النقدية لاحظنا فوق الميم المبتدأة من لفظة (الأمر) بعضا من الدوائر الصغيرة، التي لا نعرف هل جسدها النقاش بغرض الشكل أم فقط لغايـة زخرفية ؟، كما نلاحظ أيضا حركة الضم فوق حرف الكاف في كلمة (كله)، وكذلك في حرف الميم المبتدأة وحرف الدال في لفظة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (محمد).

2 - 3 التحليل الأبجدي للحروف:

صورة الألف:

فقد نقشت حرف الألف بأوجه متعددة منها أنها جاءت مطلقة حيث تبدو لنا استقامته من الأعلى إلى الأسفل في كل موضع له من الكلمة ونلاحظ هنا تحكم السكـاك فـي إعطاء الحروف بعدها الأصلي، (جـدول 01: اللوحة: 01)

أمـا الصـورة الثانية التي كتب بها هذا الحرف ما يصطلح عليه عند علماء الخط بالألف المشـعر، الـذي تجـئ فيـه آخر الألف معطوفة الذنب، ويكون موصولا بغيره، وفي أغلب

الأحيان يكون مطلقا.

أمـا الطريقة الثالثة التي نفذ بها حرف الألف فهي ألف التحريف، وهي أن يبدأ من هامة الألـف ثـم ينزل بها مستويا حتى إذا بلغ شاكلته تدور في اتجاه اليسار كما مضى في المطلق والمشـعر أنظـر (الجدول رقم 01 - اللوحة 01)

-صورة الباء وأخواتها:

ثاني حرف في هذه المجموعات هو الباء الذي هو الأخر حصلت عليه بعض التغيرات، فـأول نوع منه، هو الباء المجموعة وهي كمال تدوير العراقة والصعود بطرفها ممالا حتى تأخذ شكل نصـف دائـرة كامـلا، وهـي أيضا تنزل من رأسها حتى إذا بلغت مستوى الخط القائم ثم تمتد حـتى إذا صار في المؤخرة ترفع ذنب الباء .

أما النوع الثاني الذي نقشت به الباء هو المعقوفة، وهي نفس المراحل التي تـمر بـها البـاء المجموعة، لكن عندما تصل إلى مكان الذي ترفع فيه الذنب تتوقف هناك وتضاف إليها مطة وتسمى أيضا البتر.

أما الضرب الثالث فهي الباء المبسوطة، وهي تشبه في بدايتها الباء المجموعة لكنها ترسم باسـتقامة وترسـل دون انخسـاف ولا يعكف ذنبها.

أما حروف التاء المربوطة فقد تعددت صـورها منها التاء على شاكلة اللام المثلثة، والتي ترفع رؤوسها في الأعلى على هذه الصورة، والتي تسمى التاء المعراة.

أما الوجه الثاني للتاء المربوطة فهي أنها كتبت بنفس الخصائص مع الأولى بتسطيح أحد رؤوس أو قـرون التاء، وذلك حتى تستوي عليها النقاط، وربما لضرورة الشكل استحدث النقاش هـذا النوع .

والصـورة الثالـثة أن تكـتب أو تنقش التاء المجردة من الرؤوس والقرون إن صح لنا التعـبير في ذلك، وتكتب على شاكلة الميم المستديرة نوعا ما، وهو ما يعرف بالتاء المعراة أو المفردة المثـلثة وهنا يقع بعض الالتباس، كون أنه يمكن أن الصورة الأصـلية للـتاء، وأحيانـا تدخل عوامل أخرى، مثل تعرض هذه الدراهم للطمس مما يجعل تلك الرؤوس المرتفعة تزول.

-صورة الجيم وأخواتها:

أما فيما يخص حرف الحاء، فلم يتعرض إلى الكثير من التغيرات لأن هذا الأخير اقتصر على كلمة واحدة، وكان في موقع واحد من الكلمة، حيث جاء في اسم النبي صلى الله عليه وسلم (محمد)، وكانت في وسط الكلمة، فمنها ما يكون ابتداءها على مستوى السطر.

-صورة الدال وأختها:

أما فيما يتعلق بحرف الدال، وباعتبار أن هذا الأخير أظهر جليا في كلمتين في ظهر هذه الدراهم، ألا وهي لفظة (محمد) صلى الله عليه وسلم، و(المهدي)، فإننا نسجل هنا عدة محطات لهذا الحرف.

أولها الدال المفردة وهي على شكل زاوية واحدة يجمع طرفها جمعا يسيرا، والصورة الثانية للدال فهي ما يعرف بالمركبة، التي حسب صاحب كتاب الإنشاء تنقسم إلى أربعة أشكال، مجموعة، مبسوطة، ومخطوفة، مقطوفة، هذه الأخيرة التي هي أن الخطاط أو النقاش يرفعها بعد الفراغ من الحرف الذي قبلها، إلا أنه بعد الفتلة يبقى لها ذنبا صغير [36].

-صورة الراء:

أما حروف الراء فقد ظهرت في مجموعة النقود الموحدية السبعة بأشكالها الثلاثة: مجموعة، مبسوطة، ومقورة، فأما المجموعة منها ففيها أن الخطاط يبدأ من رأس الحرف ثم ينزل على خط الاستواء ثم يبدأ في التقويس على شاكلة الباء المفردة، ثم يصعد بالقلم إلى الأعلى.

أما النوع الثاني لحرف الراء فجاء على شكل راء مبسوطة مفردة، وهي أن ينزل النقاش بأعلى الحرف ثم يعرق أي يقوس، ثم يرسل الحرف إلى الأمام، على شاكلة الدال المجموعة التي سبق دراستها ثم ينقص منها ويحدد مؤخرتها[37]، وفي بعض المراجع نجدها تسمى بالراء المرسلة [38]، حيث يعد نزول في رسم الرأس فبدلا من التقويس إلى الأعلى يرسل الحرف إلى الجهة اليسرى.

أما الصورة الثالثة للراء في هذه الدراهم الموحدية، فهي الراء المقورة، وهي أن ينزل الخطاط من رأس الحرف بأقل مسافة .

-صورة السين:

أما حروف السين، فكانت في أغلبها من ضرب السن المحققة المظهرة، وأن الخطاط بدأ برسم أسنان السين عن طريق الترتيب، وهو أن يبدأ برسم المساحة الأولى ثم يتوقف عند

النهاية، ثـم يحدد بالقلم راس المساحة الثانية، والمساحـة بين الأسنان تكون متفاوتة بحيث تكون بين الأولـى والـثانية أقل من الثانية والثالثة على، ويسمى أيضا في مراجع أخرى بالسين المسنن.

وربما اعتمد النقاش على هذه الصورة للسين كونها تحترم المسافات والأبعاد المناسبـة لحـجم ومساحة الدرهم، كون أن النوع الآخر من السين قد يشغل مساحات أكبر، وكون أن السين قـد اقتصـرت على لفظة (محمد رسولنا).

-صورة الكاف:

وننتقل إلى وضع حرف الكاف، فقد جاءت في أغلبها من نوع الكاف المفردة المبسوطة، وهـي أن يـبدأ النقاش من رأس النقطة ثم يبدأ في التقويس والنزول إلى الجهة اليمنى، ثم الرجوع إلى اليســار عن طريق خط مستقيم

أمـا الضرب الثاني للكاف، فهو ما يسمى بالكاف السيفي، وهو الانحدار من راس الحرف إلى الأسـفل مسـافة خمس نقاط نحو اليسار ثم التعرق أو التقويس نحو اليمين ثم الالتفات نحو اليـسار أيضا عبر خط مستقيم.

-صورة الفاء وأختها:

أمـا فيمـا يتعلق بحروف «الفاء» فقد ظهر التطور جليا، وقد زخرفت هذه المجموعات الموحدية بأبرز أنواع الفاء، وأول ما نستعرضه هو الفاء المجموعة، والتي جاءت منقوشة من اليميـن إلى اليسـار بشكل منحني متشابهة الرأسين ثم النزول إلى الأسفل لاستكمال كأس الفاء، وهـي في ذلك على شاكلة الباء المجموعة.

أمـا الشكل الثاني الذي نقشت به الفاء، فهو من ضرب الفاء المرسلة، والتي تكتب في الابتداء مثل سابقتها، ولكنها عند النزول تأخذ في الاسترسال على شاكلة الراء المرسلة التي رأيناها في باب الراء، فتكون أقرب ما تكون إلى الواو.

-صورة اللام:

أما حرف اللام فقد كان تطورها هنا على مرحلتين، أولهما اللام المجموعة وطريقهـا أن تـبدأ من قفاها أو رأسها على نحو ما تقدم في باب الألف المطلق لأن هذان الحرفان (اللام والألف) لهمـا نفس الاتجاه والنظام، ولأنهما مصاحبان لبعضهما البعض، فاللام تكتب في الابتداء ألفا، ثم تعـرق اللام عراقة أي تستدير استدارة أكثر حدودا من الباء ثم تجمع أذنابها كما جاء في باب الراء.

أمـا الضـرب الثاني فهو اللام المرسلة، وهي أنها كتبت في بدايتها بألف مطلقة ثم عند الـنزول تعـرق، لكـنها تـزيد فـي الإرسـال عوض أن تجمع أذنابها.

-صورة الميم :

وأمـا الميـم فكانت على عدة أوجه، من بينها أنها نفذت على شكل الميم المرسلة وهي أن تبدأ من رأس الحرف بالقيام بتعريق يكون رأس لها، ثم تصعد إلى مستوى هذا التعريق ليبدأ في الإرسال.

أما النوع الثاني الذي ضربت عليه الميم في هذه الدراهم، فهو ميم المجموعة وهي أن تنفذ من اليسار إلى اليمين أي من راس الحرف إلى مسافة قريبة وتسمى في علم الخط الشظية[39].

-صورة النون:

أما حروف النون فهي الأخرى اختلفت ضروبها ومنها :

الـنون المجموعـة وهـي أن يبدأ النقاش في رسمها بخط مستقيم ثم ينزل إلى الأسفل بمقـدار مـا ينزل من الباء، فإذا بلغ مقدار معين يسمى في عرف الخطاطين بالفتلة [40]، ثم يعرق بصـورة مسـتقيمة حـتى إذا بـلغت المؤخرة ترتفع بمقدار بسيط إلى الأعلى.

أمـا الضرب الثاني فهو النون المفردة المقورة، فأما طريقها أن تكون على شاكلة نصف دائـرة ويكون هناك توازي بين رأس الحرف وذنبه، وأحيانا يكون إحداهما ناقص بقليل عن الأخر.

أمـا النوع الأخير لهذا الحرف في هذه الدراهم فكان النون المفردة المبسوطة، وهي أن الفنـان المسـلم ينزل من رأس الحرف كما جاء في النون المجموعة ثم يستدير على هيئة قطعة قـوس ثم ترسل.

-صورة الهاء:

أمـا فيمـا يخص حرف الهاء، فالجدير بالملاحظة أن هذا الحرف قد تجلى تطوره على هذه المسكوكات الموحدية فـي ضروب مختلفة، لكـن هناك نوع واحد من الهاء قد لاحظناه على أغلب هذه المـجموعـات، والـذي وقـع فـي لفظـة (المهـدي)، في ظهر الدرهم، وتسمى عند الخطاطين بالهاء المقورة والمستديرة، والتي تكون فيها فتحة البياض بارزة في الشقين وكذلك تسمى أذن الفرس [41].

أمـا النوع الثاني من الهاء في هذه النقود، فهو ما يصطلح عليها بالمدغمة [42]، وطريقها أن يبدأ النقاش برسمها بعدما فرغ من الحرف الذي قبلها ويستدير استدارة

صغيرة، وينـزل يمينـا ثـم يصعد إلى مستوى الخط الذي هبطت منه، أما الضرب الأخير للهاء، فهي ما يسمى في عرف الخطاطين بالمخطوفة وهي أن النقاش فـي هـذه الحالة يبدأ بنفس المراحل التي مر بها في المدغمة، كنه في هذه الحالة لا يصعد إلى أعلى وإنما يرسل مؤخرة الحرف إلى الأمام.

-صورة الواو:

أما حرف الواو فهو الآخر نال نصيبا وافرا من الاهتمام من طرف الفنان الموحدي علـى هـذه الـنقود، كوننا سجلنا عدة محطات لأنواع هذا الحرف، أولها الواو المجموعة والتي تكتب أو تنفذ على شاكلة الفاء أو القاف حيث نلحظ في مؤخرتها استدارة إلى الأعلى، ويجعل لها ذنبا.

أما الشكل الثاني الذي نفذت به الواو على هذه النقود، فهي الواو المبسوطة، وهي في الابتداء كسـابقتها لكنها في مرحلة النزول، يرسلها النقاش عن طريق خط مستقيم.

-صورة الياء:

أمـا الحرف الأخير في مجموعتنا فهو حرف الياء، حيث نلاحظ أن أغلب الدراهم تجلت فيها اليـاء المفـردة المجموعة، وهي أن يبدأ النقاش في هذه الحالة بدأ تنفيذها بأن رسم في بداية حرف الدال مقلوبة ثم عندما يصل إلى صدر الحرف يرسم دالا أخرى مستوية، فإذا ركبنا الدالان حصلنا على هـذا الـنوع من الياء.

أمـا الـنوع الثاني من الياء فهو الياء المبسوطة، والتي تكتب كسابقتها في البداية كـحرف دال مقلوبة، ثم عند صدر الحرف ترسل الياء بخط مستقيم وتحدد مؤخرتها.

خاتمة:

إن هذه المجموعة النقدية الموحدية التي حملت اسم مدينة قسنطينة كمدينة للضرب، تعد في غاية الأهمية، كونها تؤرخ لفترة زاهية من فترات تاريخ المغرب الإسلامي وهو العهد الموحدي من جهة، ومن جهة أخرى تمثل أيضا شاهدا ماديا في غاية الأهمية لأبرز الأدوار التي اضطلعت بها مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ليضاف كل ذلك إلى سجل المدينة الذهبي، وتكتمل حلقة من حلقات تاريخها المجيد الذي تؤرخه هذه الدراهم الفضية التي تعتبر كغيرها من المسكوكات وثيقة تاريخية رسمية لا يمكن الطعن فيها .

اللوحة رقم 01 : نماذج من الدراهم الفضية الموحدية
المربعة ضرب مدينة قسنطينة

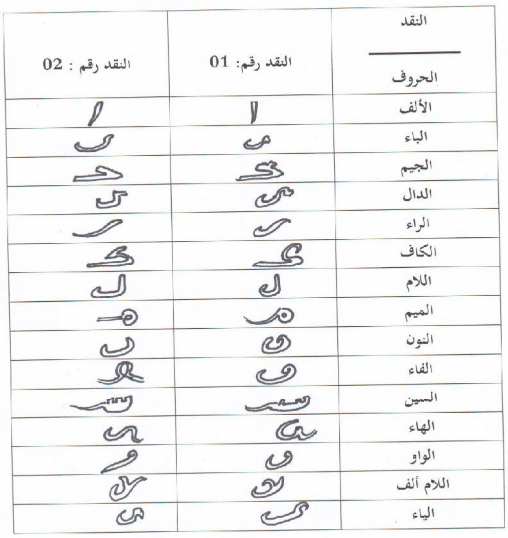

الجدول 01 : التطور الأبجدي للحروف على الدراهم

الفضية لمدينة قسنطينة

هوامش البحث:

1) - توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص 93.

(2) – أنظر: - عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة إبان الفتح الإسلام، مجلة مركز الدراسات التاريخية، العدد 19، 1985، ص96.

- رحلة العالم الألماني هابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 88.

(3) - الحاج أحمد بن مبارك العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011، ص 95-96.

(4) - أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992، ص 728 .

(5) - ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر- بيروت1405هـ/ 1984م، ص439.

(6) - أبو عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر، 1983، ص166.

(7)- عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1395هـ / 1975م، ص480.

(8) – نفسه، ص 481.

(9) - سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1994، ص9.

(10) - نفسه، ص16-17.

(11) - أبوبكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1971،ص12.

(12) - أنظر : - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص144-145.

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: د. إحسان عباس، الجزء الثالث،، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983، ص148.

(13) - علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط، 1420-1999، ص 250.

(14) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق

وتقديم محمد الشاذلي لينفر – عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ص103.

(16) - نفسه، ص276.

(17) - أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص164.

(18) – الحاج أحمد بن مبارك العطار، المرجع السابق، ص 170.

(19) - صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1996، ص 10.

(20) - BOUROUIBA Rachid; Abd elMumin, Flambeau des Almohades 2emme édition, Société National D›édition et Diffusion, Alger 1982, P. 77.

(21) - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص10.

(22) - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية، القسم الأول والثاني، مكتبة المنار، تونس، 1966م، ص455.

(23) - PARMESHLARI (lal Gupta), Coins, India 1979, P. 88.

(24) - البيدق أبو بكر الصنهاجي، المرجع السابق، ص27.

(25) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد 01-02، 1378هـ / 1985م، ص111.

(26) - عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1966م، ص810..

(27) - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص10.

(28) – نفسه، ص 10.

(29) - عز الدين أحمد موسى النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، 1983.، ص300.

(30) - عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص275-276.

(31) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، المصدر السابق، 111.

(32) - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص144-145.

(33) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص103.

- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص132.

(34) - عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص276.

- علي عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص204-205.

(35) - الزركشي، المصدر السابق، ص164.

(36) - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صـبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 70.

(37) – نفسه، ص 72.

(38) - علي الراوي، الخط العربي، نشأته وتطوره، دار المعارف الإسكندرية، ط1996، ص80

(39) – يحياوي العمري، الدراهم المغربية الأندلسية مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 127.

(40) - محمد بن سعيد الشريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن 04 إلى القرن 10هجريين، الجزائر، 1982، ص36

(41) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ص95.

(42) - الإدغام، هو مزج أجزاء الحروف في بعضها أو حذفها وغالبا ما يقع في الميم والهاء وفي الراء والنون المعلقتين: أنظر يحياوي العمري، المرجع السابق، ص128.